12 me Année No. 589

Lundi - 16 - 10 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

عن العدد ١٥ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٨٩ «القاهرة فى يوم الإثنين ٢٩ شوال سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٦ أكتوبر سنة ١٩٤٤» السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

بين الحقائق والأساطير

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب الأستاذ محمود عزى مقالاً اقترح فيه أن تطلق كلمة العروبة بفتح العين على الجامعة العربية

قال الأستاذ : « وقد وقفت مع رهط من أصدقائى اللبنانيين وأنا أصطاف معهم إلى تعريب لفكرة التعاون المستند إلى مدرك الأميركية الشاملة — فى نظام جامعة الأمم الأميركية — بلفظ واحد يدل أبلغ الدلالة على جامعة الأمم العربية التى يصح أن يعبر عنها باللغات الأجنبية بكلمة Pan—Arab ، وهو لفظ العروبة بفتح العين لا بضمها . وقد وردت فى القواميس وفى المدونات على أن من معانيها العرب مجتمعين فى مواسمهم ، كما ورد أن يوم الجمعة كان يسمى يوم العروبة بالفتح قبل أن يسمى يوم الجمعة »

وتناول هذا المقال «مشاغب» المصور فقال : « ... ليسمح لنا الأستاذ أن نفتش له ولأصدقائه هــذه الفتشة . فقد رجعنا إلى أكبر القواميس وإلى أمهات اللغة فلم نعثر على أن العروبة بالفتح هى العرب مجتمعين فى مواسمهم حتى يصح أن نطلق على الجامعة العربية . فقــد قال صاحب لسان العرب وصاحب محيط المحيط وغيرهما إن العروبة والعروب بفتح العين هى المرأة اللاعبة الضاحكة ،

أو المتحببة إلى زوجها أو العاصية أو العاشقة الغاوية ، وإن إطلاق العروبة بالفتح على يوم الجمعة كان قبل الإسلام ، وإنه يظن أنه دخيل فى اللغة ، وقال صاحب اللسان : وفى حديث الجمعة أنها كانت تسمى عروبة بالفتح وهو اسم قديم لها ، وكأنه ليس بعربى ... وأشار بعد ذلك إلى أنه تغير بعد ظهور الإسلام وسمى يوم الجمعة ... »

هذا هو مدار المشاغبة بين الأستاذ عزمى و «مشاغب» المصور الذى أصاب فى قفشته اللغوية ، وأحسن إذ حال بين الجامعة العربية وإطلاق كلة العَروبة عليها

فن هى هذه العروبة ؟

من هى هـذه الحسناء اللعوب المتحببة الغاوية العصية ؟

من هى هذه الفاتنة التى كان يوم الجمعة يسمى باسمها فى الجاهلية ولا تزال فى خصائصه أثارة من تلك التسمية حتى اليوم ؟

أكبر الظن أنها هى «الزهرة» كوكب العشق والهوى واللعب والغواية ، ثم كوكب يوم الجمعة الذى نسب إليه هـذا اليوم فى أرصاد المشارقة منذ آلاف السنين ، وقد بطلت نسبته الآن فى لغات المشارقة ولم تبطل من لغات الأوربيين الذين اقتبسوا أرصادهم من الشرق قبل ظهور المسيحية بقرون ، فلا يزال الفرنسـيون يطلقون على يوم الجمعة اسم ڤندردى Vendredi أى يوم الزهرة Venus ، ولا يزال الإنجليز يطلقون عليه اسم فريداى Friday ، أى يوم فرايا ، وهى مقابلة الزهرة عند أبناء الشمال الأقدمين

والمعروف أن المشـارقة فيما بين النهرين — قد سبقوا الأوربيين إلى رصد الكواكب السيارة والثابتة ، ومزجوا هذه الأرصاد بالعقائد الخرافية التى اشتمل عليها علم الفلك القديم . فزعموا أن الكواكب مستولية على الأيام والحوادث ، مسيطرة على السعود والنحوس ، وقالوا إن الشمس مستولية على يوم الأحد ، وإن القمر مستول على يوم الإثنين ، وإن المريخ مستول على يوم الثلاثاء ، وإن عطارد مستول على يوم الأربعاء ، وإن المشترى مستول على يوم الخميس ، وإن الزهرة مستولية على يوم الجمعة ، وإن زحل مستول على يوم السبت ، وإن هذه الكواكب تتداول الساعات جميعاً فى هذه الأيام

وقد بقيت هذه النسبة فى أسماء الأيام الأوربية إلى العصر الحاضر بعد أن بطلت فى مصادرها الأولى

فيوم الأحد بالإنجليزية يسمى يوم الشمس Sunday بلفظ صريح .

ويوم الإثنين يسمى يوم القمر Monday بغير تحريف كبير

ويوم الثلاثاء يسمى يوم إلـه الحرب Tuesday ، وهو تيوا عند أمم الشمال ، ونسبته فى اللغة الفرنسية أصرح وأظهر لأنهم يدعونه Mardi ، أى يوم مارس ، وهو المريخ

ويوم الأربعاء يسمى يوم أوودن إلـه الفنون Wednesday ونسبته فى اللغة الفرنسية كذلك أصرح وأظهر لأنهم يدعونه Mercredi ، أى يوم مركيورى ، وهو اسم عطارد عند جميع الأوربيين

ويوم الخميس يسمى بالإنجليزية يوم ثور إلـه الرعد والبرق والصـواعق والنيران والصناعات التى تستخدم فيها النـار Thursday ، ويشبه فى خصائصه المشترى كما يعرفه الشرقيون

ويوم الجمعة منسوب إلى الزهرة كما تقدمَ ، ويوم السبت منسوب إلى زحل ، وهو فى الإنجليزية أصرح منه فى الفرنسية Saturday ، أى يوم « ساتيرن » ، ومعناه زحل فى تلك اللغة

ولا شك فى مرجع الزهرة خاصـة إلى الأساطير الشرقية بلفظها ودلالتها

فـكلمة Venus ڤينس كانت تـكتب باللغات الأوربية القديمة بنث Benush ، ثم صحفت الباء إلى الفاء ، كما يتفق كثيراً فى جميع اللغات ، وصحفت الثـاء إلى السين فأصبحت ڤينس كما تنطق اليوم ، ومرجعها على ما هو ظاهر إلى كلة بنت التى تدل فى العربية وغيرها من اللغات السامية على الفتاة

وكلة «أشتار» التى أطلقت من قبل على الزهرة ، ثم أطلقت على سائر النجوم مأخوذة من أستار و «عشتروت» ، أى الزهرة عنـد الفينيقيين . ومنها الاسـترلاب أو الاصطرلاب مقياس الـكواكب والأفلاك

وخصائص الزهرة فى أساطير الفلك الشرقية هى بعينها خصائصها التى ثبتت لها حتى الآن فى أساطير الغربيين ، وهى الاستيلاء على العشق والهوى والجمال الغاوى والفتنة الخليعة ،

وفى رسائل إخوان الصفاء كما فى غيرها من كتب الحكمة والفلك : « ... من ذلك حال السعدين المشترى والزهرة . فإن أحدهما دليل على سعادة أبناء الدنيا وهى الزهرة ، وذلك أنها إذا استولت على المواليد دلت لهم على نعيم الدنيا من الأكل والشرب والنكاح والميلاد ، ومن كانت هذه حاله فى الدنيا فهو من السعداء فيها »

وقد بقيت للجمعة صلة بالحب والمتعة حتى اليوم بعد نسيان كلمة العروبة التى كانت تطلق عليه فى الجاهلية

فمن هنا إذن جاء وصف العشق والهوى ليوم الجمعة فى الجاهلية المنسية ، ومن هنا انعقدت الجامعة بينه وبين العروبة التى هى المرأة اللعوب المتحببة العاصية الفنونة ، وكل حسناء لعوب تجمع بين هـذه الصفات كما جمعت بينها الزهرة ربة الفتنة والغرام عند الكلدان والفنيقيين قبل اليونان واللاتين

ومن الحسن إذن أن يكون للجامعة العربية كوكب غير الزهرة فى مطلعها الجديد أو طالعها الجديد

فإن أجدر الكواكب أن يستولى على الجامعة العربية فى هذا الطالع لهو كوكب عطارد الذى تنسب إليه الآداب والفنون فى أقوال الشرقيين قبل الغربيين ، كما قال ابن الرومى :

ونحن معاشر الشعراء ننمى إلى نسب من الكتاب دان
أبونا عند نسبتنا أبوهم عطارد السماوى المكان

وهذا من الأدلة الكثيرة على أن الخصائص الفلكية التى تزعمها الأساطير الأوربية لأرباب الآداب والفنون من شعر ونثر وغناء وموسيقى قد كانت معروفة على هذه الصفة فى الشرق العربى وفى الشرق كله قبل دولة الإسلام والعربية

والرأى الصائب هنا غير بعيد من دلالة الأساطير على هذا المعنى .

فإن الجامعة العربية لا يجمعها شيء كما تجمعها اللغة وآدابها ومنظومها ومنثورها وأفانين الفصاحة والتعبير فيها

فالجامعة العربية قبل كل شيء هى جامعة اللغة العربية واللسان العربى بما أفاض فيه من شعر ونثر وخطابة وبيان

وعطارد السماوى المكان هو صاحب هذه الجامعة دون غيره من كواكب السماء ، وبخاصة تلك الزهرة اللعوب !

فمن تنفصم للأمم العربية جامعة ما دامت لها لغة واحدة وأدب مشترك فى تلك اللغة . لأن هذا الأدب هو الميراث الذى يربطها بأسرة واحدة ، ولا يقع النزاع فيه كما يقع النزاع كثيراً على ميراث المال والحطام ، بل هو ... بحلية الوفاق وموزع الحصص بمقدار ما يتناول منها المتناول من غير ضرار ولا شقاق

أما الوحدة العربية من وجهة السياسة فلها ضمان واحد يتقدم على كل ضمان ، وهو حرية كل أمة عربية فى الحكم وحرية كل أمة عربية فى الاختيار ، وحرية كل أمة عربية فى معاملة الأمم الأخرى

فإذا قامت الوحدة على هذين الأساسين : أساس الأدب وأساس الاستقلال ؛ فكل ما وراء ذلك فهو تفصيل يطويه الإجمال ، وهو بأية حال مسألة رسوم وأشكال . ولا يبالى العربى فى قطر من أقطار العروبة ماذا يكون الرسم ، أو ماذا يكون الشكل إذا سلمت له اللغة وآدابها ، وضمنت له الحرية وحقوقها

ولكل عربى أن يقول يومئذ ولسائر العرب : « أبونا عند نسبتنا أبوهم » إذا كان عطارد هو رمز الأدب والفصاحة والبيان .

عباس محمود العقاد

صور من حياة أبي العلاء بين يدي ذكراه الألفية

أبو العلاء المصلوب !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

[يطالع قارئ ديوان « اللزوميات » لأبي العلاء صوراً شتى من حياة هذا الرجل ، حتى ليختلط على القارئ المتعجل تمييز تلك الشخصية بميزات وسمات تلازمها ولا تفارقها

غير أن حركة صور تلك الحياة في ذهني تكاد تستقر على مقطع واحد من مقاطع نظري إليه ، وهو مقطع صورة لرجل مصلوب !]

كأنما الأقدار قد أطالت صلبه ليترجم عن معاني الألم والتشاؤم والسأم والشك والتبرم ، وانتقاد شريعة الاجتماع ، والانتقاض على شريعة الحياة نفسها . وكأنه كان رسول هذه المعاني في الأدب العربي ، جاء لينذر الناس بنذر من عالم الفناء والتعطيل والظلام والآلام . فهو في آفاق هذا العالم رائد خبير ، قطع حياته كلها يجوس بعينيه المطموستين في أمواجه القاسية لم يبزغ عليه فجر نور يزوده بصور باسمة للحياة يتذكرها ويلهو بذكراها في رحلته القاسية الطويلة ، إذ حرمته الأقدار بعض أسباب السلوى والنسيان والتلهي ، وضاعف هو حرمان نفسه ، إذ رفض بقية ما سلبته الحياة . فكتب على نفسه بيده أسباب نقمته الموصولة ، وقد أعانه على إدمان آلامه ذاكرة واعية ، وحافظة مصورة ، وخيالٌ خلاّق مثّال ، بلغ من قدرته أنه كان يرى في كل لفظ من محصول اللغة التي كان فيها إماماً قالباً لمعنى من معانيه ، ونواة لفكرة من أفكاره ، لا يلبث أن يدور حولها دورة يخرج منها معنى يُضَمُّ إلى أسرة المعاني العلائية المعروفة

وقد نجح في أداء رسالته ، فقبس « أقباساً » داجية من عالم التعطيل والظلام ونقلها إلى عالم الحياة والحركة والافتتان والاستسلام ، وأتى من وديانه بصور وتهاويل وأشباح تطالع قارئ ديوانه « اللزوميات » فيقبل عليها في ارتياع ووجل وشوق غامض كما يقبل على عالم الضوء بمرائسه وأشباحه البيضاء الآنسة المأنوسة ! فيبصر ذلك الجانب الآخر من حياة قانونها المزاوجةُ بين المسرّات والآلام ، وينبه السكارى باللذة إلى ما هنالك من السكر بالألم :

وأوقدتِ لي نار الظلام ! فلم أجد
سَنَاكِ بطرْفي بل سنانكِ في ضِبْني

وقد أوثقته الأيام على صليبه في محبسه ، وسمَّرت جوارحه بمسامير العجز ، وحررت فكره ولسانه وبيانه . والبيان قوة خطرة في مثل هذه الحل ، تخلق ما ليس موجوداً ، وتبالغ في الموجود حتى تخرجه إلى الإحالة ، وتخدع صاحبها قبل غيره ، وتضخم تهاويل الحرمان والعجز ، حتى تصير كابوساً يأخذ بالأنفاس ...

ومن عجيب أمر الحياة مع المعري أن أطالت عمره مصلوباً وحيداً إلا من صحبة نفسه التي لقي منها البرح البارح ، ولقيت من فكره الحيران العذاب المضاعف

وقارئ « اللزوميات » يخيل إليه أنه أمام آهات موصولة من ذلك « الفكر » المصلوب الذي أكلت من رأسه وتخطفته طيور الشك والألم والحيرة وإرهاف الحس وعدم الصبر على الفتنة بالناس ، وعلى السير معهم على سطح الوجود بدون تعمق وطلب لما لا ينبغي أن يطلب . وكأن ذلك القارئ أمام مريض مزمن يتقلب على فراش شائك . ولم تكن حالات التسليم والهدوء والرجوع إلى معاني سطح الحياة تعتري المعري إلا كما تهدأ الحمى عن مريض برهة مخطوفة ، ثم لا تلبث أن تعود في إلحاح ولجاج وإنهاك

وقد قلت في مقال سابق : إن السُّكر بالألم سكر خطر ، أشدُّ خطورة من السكر باللذة ؛ لأن في الثاني إقبالاً على الحياة واعترافاً بها ، وحب تذوق لفرصتها العابرة ، وخواطر مسرَّة ورضاً عنها وعن أفانين الإبداع فيها . أما السكر بالألم فيحمل على هذيان فيه رفضٌ للحياة جملةً ، وتعطيل لحركتها في النفس ، وخواطرُ سخط على صانعها ، وانتقاد لنظمه فيها ، وانتقاض وثورة وإباق وفرار وحقد دفين وغيظ مُعلَن وفُضول وتدخل من كائن صغير ضئيل في السياسة العليا للحياة

سكارى اللذة قد يسخرون بشريعة الاجتماع ويحطمونها من فرط وُفور القوة وتوفز الحس والشعور بما فيها من متاع

عبقرى تستجيب له نفوسهم ، ولا يقفون فى استجابتهم له عند الحدود التى دلت تجارب الأحياء الذين كان لهم مثل هذه الاستجابة النهمة على أنها حدود يلزم الوقوف عندها واحتجاز النفس دونها إبقاء على تلك الاستجابة ذاتها ، وإدامة لتجددها وطلباً للمزيد منها . ومن السهل رجوع سكارى اللذة إلى أحضان شريعة الاجتماع باستخدام منطق التجارب فى إقناعهم . فكل عيبهم أنهم أطفال جياع شرهون امتدت طفولتهم فاستمروا على حب الحلوى والزينة والمتاع بهما فى إسراف ، وسخطوا على « صمامات » الأمان و « فرامل » النجاة التى تتمثل فى شريعة الاجتماع التى لا يدركون فيها مصالحهم الذاتية قبل مصالح غيرهم

أما سكارى الألم فيحملهم هذيانهم على تحطيم « شريعة الحياة » ذاتها ، ولا يعترفون بها ، ويقفون من صانعها وجهاً لوجه وقفة الند للند ثائرين صاخبين ساخطين !

* * *

والآن لننتقل بخيالنا لننظر ذلك الشيخ الأعمى المسمَّر على صليبه يحملق فى وجه الظلام السرمدى بعينيه المطموستين ، وأمام شفتيه كأس من الحنظل يرشف منها رشفات ، ويئن من توقد جمرات الإحساس بالحياة . فينشد معلناً معانى نفسة ويطرحها قضية جريئة ثائرة ...

فكونُك فى هـذه الحياة مصيبةٌ

أرى جُرَع الحياة أمرّ شىء فشاهـد صِدْق ذلك إذ تقاه

شربت قهوة همٍّ كأسها خَلَدى

وفى المفارق ممـــا أطلعت زَبَدُ

أرى جزء شهدٍ بين أجزاء علقم

أكلتُها جمرةٌ حرارتُهـا صدت أخا الحرص عن تنعمها

أف لها ! جلّ ما يفيد بهـا من فاز فيهـا الطعامُ والباه

من لى بترك الطعام أجمعَ

إن الأكل ساق الورى إلى الغبن

إلى الأنين استراح خِدنُ ضَنَى

كما استـــراح السقاةُ بالرجـز

ثم تذهب خواطره إلى نوع من ثورة العاجزين الذين يملكون الأفكار الثائرة ولا يملكون الأعمال المحررة التى تحررهم من إسار الحياة المنيف الكريه فينشد :

هذه الحبالة قد ضمت جماعتنا فهل بنوصُ فتى منها وينفلت

خلصينى من ضنك ما أنا فيه واطرحينى لمنكر ونكير

إلام أجر قيود الحيـــاة ولا بد من فك هذا الإسار

آه لضعفى ! كيف لى هابطاً فى الواد أو مرتقياً فى العقاب

وما فتئت وأيامى تجدد لى حتى مللت ولم يظهر بهـا ملل

ربَّ متى أرحل عن هذه الدنيا فقد أطلت فيهـــا المقامْ

وقد تحمله سكرته على حالة يكون فيها مستغرق الفكر فى ذهول الحالم

فيـــالك من يقظةٍ كأنى بهــــا حالم

والمرء فى حال التيقظ هاجع يرنو إلى الدنيا بمقلة حالم

وقد تحمله يقظته المرهفة على حالة يكاد فيها يعد أنفاسه سأما وحساسية ببطء مرور الزمن كبطء مرور مبهور الأنفاس أو مرور نمال صغار على كثيب من رمال .

وأنفقت بالأيام عمرى مجزءا بها اليوم ثم الشهر يتبعه الشهر

يسيراً يسيراً مثل ما أخذ المدَى

على النـاس ماشٍ فى جوانحه بُهرُ

كذرٍّ علا ظهر الكثيب فلم يزل

به السير حتى صار من خلفه الظهر

وهو شديد الشعور بجزيئات الزمن يتلقاها برهة برهة وتشد عليه سلاسلها ، وهو واقف فى إسارها جامد لا يتحرك

بتُّ أسيراً فى يَدَىْ برهة تسير بى وقتىَ إذ لا أسير

وهو يرصد دورات حياته المحدودة المكرورة فلا يجد فيها مذاقاً جديداً للحياة :

أقضّى الدهر من فطر وصوم وآخذُ بُلغةً يوماً بيـــوم

أعيش بإفطار وصوم ويقظة ونوم فلا صوماً حمدت ولا فطرا

تداولنى صبح ومُسى وحندسٌ ومر على اليومُ والغد والأمس

غدا رمضانى ليس عنى بمنقض وكل زمانى ليلتى آخر الشهر

وهي حالة يبلغ من إلحاحها على صاحبها أنه يتعجل دورة الفلك ويتطلع إلى الغد قبل مرور اليوم :

أصبحت فى يومى أسائل عن غدى

متخبراً عن حاله متندّسا

٢ ـ ثقافة أبى العلاء

للأستاذ دريني خشبة

لم يكن أحد فى عصر المتنبى أكثر إلماماً باللغة العربية من المتنبى ، ولم يكن أحد فى أيام المعرى أكثر إلماماً باللغة العربية وغريب اللغة العربية من المعرى ، بل لعل الله لم ييسر لأحد ممن أحاط باللغة العربية ووقف على غرائبها ما يسر من ذلك كله لأبى العلاء ...

وقبل أن نأخذ فى هذا الحديث عن ثقافة أبى العلاء أحب أن أرجو القارئ فى الرجوع إلى معجم ياقوت ليقرأ معى أسماء ذلك الثَّبَت الطويل من الكتب التى ألفها ، أو صنفها ، أبو العلاء ، وما أورده ياقوت من الأسباب التى دفعت أبا العلاء إلى تأليف تلك الكتب . . . وأحب كذلك أن أرجو القارئ فى أن يصبر على قراءة أسماء تلك الكتب الكثيرة الغريبة التى نضيق نحن اليوم بها وبموضوعاتها التى لا يدل ظاهرها على طرافة أو عبقرية ، إن لم يخيل لنا أنها تدل على حذلقة وتقعر ... أو تفاصح وتشدُّق ... على حد ما عبّر ياقوت[1] ... وأحب أن ألفت نظر القارئ إلى ملاحظة قد تكون سخيفة إلى آخر حدود السخف أولاً ، لكنها لن تكون سخيفة آخر الأمر ، لأنى سآخذ منها دليلاً على أن أبا العلاء لم يكن يؤلف هذه الكتب الكثيرة المعقدة ، المضطربة ، فيما يبدو لنا ، التى لا قيمة لها فى رأى الكسالى الذين لا صبر لهم على حل الرموز وفك الطلسمات ... أقول إننى سآخذ من هذه الملاحظة دليلاً على أن أبا العلاء لم يكن يؤلف هذه الكتب المعقدة ... لله ... أو بغير أجر إذا ضقت بهذا التعبير العامى الذى لا يعجبك ...

إذن ليُلْقِ القارئ باله إلى عدد الكراسات التى يتألف منها كل من كتب أبى العلاء ... وسنضع تحت أيدى القراء ميزاناً سهلاً لحساب هذه الكراسات الكبيرة العدد التى كانت تتألف منها كتبه

١ – فياقوت يذكر أن كتاب الفصول والغايات كان يتألف من سبعة أجزاء أمليت فى مائة كراسة (ج ٣ : ١٤٧) ويذكر الدكتور طه حسين – رجل أبى العلاء – أن الكتاب

(١) طبعة دار المأمون ج ٣ ص ١٢٦

متى يتقضى الوقت والله قادر   فنسكن فى هذا التراب ونهدأ

ويزيد من وطأة الشعور بهذه الحالة التعسة أن يرى صاحبها خلاص قرنائه ولِداته ومصارع الأقوام حوله ، وبقاءه هو فريداً مردوداً إلى أرذل العمر

يمر الحول بعد الحول عنى   وتلك مصارع الأقوام حولى

ثم يفر إلى تخيل يومه هو عندما يحين حَيْنُه فيرتاح

كأنى بالألى حفروا لجارى   وقد أخذوا المحافر وانتحوا لى

ثم يصيبه الإعياء والكلال من كثرة إرساله خواطر الثورة والحيرة والنفرة من الحياة والتشكيك فيها والسخط عليها ومضغ ألفاظ الألم والشؤم والكذب على الحياة ، والإيغال فى تخيل تلك الصور الكئيبة التى يرددها دائماً على نفسه ويملأ بها حياته ، فيعود إلى الصمت والأخذ عن الزمن الناطق الواعظ الخبير المُصِرّ على كلماته الأزلية :

قام للأيام فى أذنى   واعظ من شأنه الخرسُ

أوجز الدهر بالمقال إلى أن   جعل الصمت غاية الإيجاز

منطقاً ليس بالنثير ولا الشعر   ولا فى طرائق الرُّجاز

ولقد تبلغ به فى بعض الأحيان زلزلة الشك فى صدق ما يقول من تلك الخطرات التى يظهر أن كثيراً منها كان وحى اللفظ أو القافية أو الخضوع لحب الأغراب ، أن يشعر بصوت الزمن الصامت البليغ يرد عليه دعاويه ويفندها ويبكته

كادت سِنِىَّ إذا نطقت تقيم لى   شخصاً يعارض بالعظات مُبَكِّتا

ويقول : من بعث اللسان بغير ما   أرضى فحقٌّ أن يُهان ويسكتا

دنياك لو حادثتك ناطقةً   خاطبت منها بليغة لَسِنَهْ

تلك هى الصورة الأصيلة لأبى العلاء ، لا يخطر ذكره بالبال ، إلا وتتراءى لعارفيه أوضح ما تكون خطوطاً وقسمات . وهى صورة تتصل بمزاجه وشخصيته أكثر مما تتصل بفكره وفلسفته ، وهى هالة اسمه وطابع شخصه . وله صور أخرى تتصل بآرائه وثقافته ومذهبه الكلامى

عبد المنعم خلاف

فى أربعة مجلدات ضخمة[1] ... فإذا أخذنا بقول ياقوت وقع الجزء من أجزاء الكتاب فى أربع عشرة كراسة وجزء من الكراسة ، وإذا أخذنا بالقول الثانى وقع الجزء فى خمس وعشرين كراسة ، نستطيع أن نقدرها تقديراً كميًّا ، أو حجميًّا ، بهذا الجزء الكبير الذى وصلنا من أجزاء الكتاب ، والذى أنفق فى ترتيبه وتصحيحه وطبعه ، أستاذنا الشيخ زنانى ، ما أنفق من كريم الجهد والعمر والمال ، ما أنفق ... وعوّضه الله خيراً ! ...

ويقول أبو العلاء : إن المراد بالغايات القوافى ، لأن القافية غاية البيت ، أى منتهاه ، وهو كتاب موضوع على حروف المعجم ، ما خلا الألف ، لأن فواصله مبنية على أن يكون ما قبل الحرف المعتمد فيها ألفاً ، ومن المحال أن يجمع بين ألفين ... إلى آخر ما شرح به القيود التى تقيد بها فى تأليف كتابه ، والتى لم يُبين لنا فيها سبب تأليف الكتاب الحقيقى ، وإن كان الدكتور طه قد حدثنا عن ذلك حديثاً قيماً فى كتابه : مع أبى العلاء فى سجنه ، فذكر أن الفصول والغايات هو لزوم ما لا يلزم نثراً ، مقيداً مثل اللزوميات ، أو أشد منه ، بقيود أشبه بعبث الأطفال الكبار ! ونشهد الله على أنها لم تكن عبث أطفال كبار ، ولكنها كانت حلقة فى سلسلة الحيل التى كان أبو العلاء يتقى بها شرور زمانه وغطرسات حكامه ... وندع ذلك الآن

٢ — وألف أبو العلاء كتاباً يوضح فيه غريب الفصول والغايات ، وما فيه من اللغز ، سماه : الشاذن أو النّـادر ، أو السّـادن ، وهو جزء واحد فى عشرين كراسة

٣ — وكتاب إقليد الغايات ، أى مفتاح الألغاز ، فى عشر كراسات

٤ — ثم كتاب الأيك والغصون ، وهو كتاب الهمزة والرّدف : يُبنى على إحدى عشرة حالة ، الهمزة فى حال إفرادها وإضافتها ، ومثال ذلك السماء بالرفع والنصب والخفض والتنوين (بدون أل طبعاً) ، وسماؤه مرفوع مضاف ، ثم منصوب مضاف ثم مخفوض مضاف ، ثم سماؤها وسماءها وسمائها ، ثم همزة بعدها هاء ساكنة ، مثل عباءه ... فإذا ضربت ذلك فى حروف المعجم الثمانية والعشرين خرج من ذلك ثلاثمائة وثمانية فصول ... الخ . ويقع الكتاب فى اثنين وتسعين جزءاً تستغرق ألفاً ومائتى كراسة ! وألف فى تفسير غريبه كتاباً من جزء واحد

٥ — ثم كتاب تضمين الآى : بعضه على حروف المعجم وقبل كل منها فى الكلمة الأخيرة فى كل فاصلة ألف . مثل نساء — كتاب — بنات — غياث — أجاج : وبعضه آخر فواصله على فاعلين أو فاعلون ... وبعضه غير هذا وذاك . ويقع فى أربعمائة كراسة ... وهو من الكتب التى طلب إلى أبى العلاء تأليفها ... طلبه منه أحد الأمراء فألفه رسمه فى العظات والحث على تقوى الله !

٦ — ثم كتاب سيف الخطبة ... لخطب السنة المنبرية والخسوف والكسوف والاستسقاء وعقد النكاح ... وهو على حروف المعجم كذلك ... والظريف أن أبا العلاء أهمل الجيم والحاء ، وما يجرى مجراها : لأن الكلام المقول فى الجماعات ينبغى أن يكون سجسجاً سهلاً ومقداره أربعون كراسة

٧ — وكتاب تاج الحرة فى عظات النساء ، والتزم فى فواصله خطاب النساء على حروف المعجم نحو : تشائى وهابى — وعلى تفعلين كتشكرين ، أو الكاف ، نحو كلامك وصيامك . ويقع فى أربعمائة كراسة

٨ — وكتاب سجع الحمائم ، على لسان حمائم أربع ، فى العظات والحث على الزهد ، وقد طلب إليه أحد الأمراء تأليفه فأملاه فى أربعة أجزاء فى ثلاثين كراسة

٩ — وديوان لزوم ما لا يلزم ، وقيوده معروفة ، جعله فى ثلاثة أجزاء ، فى أربعمائة وعشرين كراسة ، وعدد أبياته أحد عشر ألفاً ـ وقد خاض بعض خصوم أبى العلاء فى اللزوميات فرد عليه بكتاب زجر النابح ، ثم جعل له ذيلاً سماه بحر الزجر ـ ويقع زجر النابح فى أربعين كراسة ـ وشرح اللزوم فى جزء واحد ـ وكتاب آخر فى شرح غريب اللزوميات سماه راحة اللزوم فى مائة كراسة ، وأظنه فى شرح فلسفته ومثله كتاب الراحلة

١٠ — وكتاب جامع الأوزان ، وفيه أشعار تنتظم ألغازاً

(١) مع أبى العلاء فى سجنه ص ٢١١

استوعب فيه الأوزان الخمسة عشر التى ذكرها الخليل بجميع ضروبها (وهذه عبارة ياقوت) مع ذكر قوافى كل ضرب ... والمعرى هنا مؤرخ للعروض جاهليّه وإسلاميّه وعباسيّه . والكتاب فى ثلاثة أجزاء فى ستين كراسة تضم نحو ستة آلاف بيت بعضها لأبى العلاء وبعضها لشعراء غيره

١١ — وكتاب السجع السلطانى فى أربعة أجزاء ، ألفه لبعض الوزراء الذين أقبلت عليهم الدنيا من غير طريق الأدب (وفيه مخاطبات للجنود والوزراء وغيرهم من الولاة)

١٢ — وكتاب سجع الفقيه فى ثلاثين كراسة ، وكتاب سجع المضطرين ألفه لبعض ذوى الأسفار (يستعين به على أمور دنياه)

١٣ — وشرح المعرى غريب شعر أبى تمام (ذكرى حبيب) فى أربعة أجزاء فى ستين كراسة ، وقد طلبه منه أحد أصدقائه فعمله ؛ وراجع ديوان البحترى لأحد الرؤساء ليثبت ما جرى فيه من الغلط ، فسمى النسخة الجديدة التى صنفها (عبث الوليد) فى عشرين كراسة ؛ وكلفه عظيم من الرؤساء يلقب بمصطنع الدولة ويدعى كليب بن على بمراجعة أحد دواوين الحماسة (واسمه الحماسة الرياشية) فألف فى ذلك كتابه الرياش المصطنعى فسر فيه ما لم يفسره أبو رياش . وهو أربعون كراسة

١٤ — وكتاب الصاهل والشاحج ، على لسان فرس وبغل ألفه لأبى شجاع فاتك ، الملقب بعزيز الدولة ، والى حلب من قبل المصريين

١٥ — وكتاب شرف السيف ، وقد أورد ياقوت عن هذا الكتاب خبراً هاماً جداً ، نقله عمن كان يستملى أبا العلاء من الطلاب ، وذلك حيث يقول إنه عمله لرجل من دمشق يدعى نشتكين الدزبرى ، كان يوجّه إلى أبى العلاء السلام ويحْفى المسألة عنه ؛ فأراد جزاءه على ما فعل ... فلنذكر ذلك إلى حين

١٦ — وكتاب اللامع العزيزى فى شرح شعر المتنبى ، صنّفه للأمير عزيز الدولة — وهو كتاب معجز أحمد كما ذكره الصفدى ، فى مائة وعشرين كراسة

١٧ — ثم عشرات من الكتب فى النحو والعروض والألفاز وغرائب اللغة ، ثم كتابه ديوان الرسائل ، الطوال ودون الطوال ، والقصار ، وتتجلى فى ذلك الكتاب عبقرية أبى العلاء وخياله الخصب وأصالته الأدبية ؛ وحسبك أن تعلم أن رسالة الغفران الخالدة ورسالة الملائكة هما وشل مما فى هذه الرسائل . ذلك ولم نشر إلى ديوانه سقط الزند لشهرته ، ولا إلى عشرات من كتبه الأخرى

فمن هذا الإحصاء الوجيز الذى وضعناه عن مؤلفات أبى العلاء عامدين ندرك أشياء شتى ، ونستنتج أشياء شتى ... ندرك تعدد ثقافات أبى العلاء واتساع آفاقها ، وندرك أنه كان يصنّف كثيراً منها — يزيد على الثلاثين كتاباً ضخماً ، بطلب خاص من الوزراء والأمراء وأعيان البلاد العربية ... وندرك أن أبا العلاء كان رجلا موسوعياً فى آداب اللغة العربية ، ثقة فى فقه هذه اللغة ، فوق كونه فيلسوفاً ملماً بمعتقدات الأديان المختلفة ، بل بمعتقدات فرق الأديان المختلفة ، كما ندرك أنه كان يغلو غلواً شديداً فى تعقيد تلك الكتب ويختط لها خططاً عجيبة مضحكة من الإسراف الشكلى والالتواء الشديد

أما الذى نستنتجه من كتب أبى العلاء ومن تاريخ حياته . فهو أنه كان يُكوّن مع طلبته ، شيئاً أشبه بهذا القسم من الجامعة المصرية الذى نسميه كلية الآداب ... أو شيئاً أعظم من هذا القسم من الجامعة الأزهرية الذى نسميه كلية اللغة العربية

وليضحك من شاء من القراء على استنتاجنا ذاك الذى نذهب إليه جادين ، ونزيد عليه أن أبا العلاء لم يكن يعلم طلبته أولئك . طلبة كلية أبى العلاء ... بالمجان ... وأنه لم يكن يؤلف كتبه الكثيرة الضخمة هذه لمن يطلبها ولمن لم يطلبها بالمجان أيضاً . لقد جمعت عدد الكراسات التى أملاها أبو العلاء ، من المصادر القليلة التى تحت يدى فوجدتها تربى على عشرة آلاف كراسة ، وقد أشرت إلى أن كتاب الفصول والغايات الذى بأيدينا كان يقع فى عشرين كراسة أو أكثر أو أقل من ذلك بخمس كراسات — وفى هذا الحجم كانت تقع مئات من كتب أبى العلاء .. ولو قدرنا أن ثمن الكراسة الواحدة كان عشرة قروش مصرية ، وهو تقدير متواضع جداً لزمن أبى العلاء ، لعرفنا أن أبا العلاء قد اشترى ورقاً ، أوكاغدا ، أو رَقّا ، أو ما شئت فسم مادة كراساته ، بمائة ألف قرش . هذا غير المداد والأقلام ... وإذا ذكرنا أن أبا العلاء كان رجلاً فقيراً ، بل رجلاً مُعدماً ، لا يزيد دخله عن ثلاثين ديناراً من ذلك الوقف المعروف ، كان يقتسمها وخادمه ، وإذا عرفنا كذلك أن أبا العلاء كان مع هذا الفقر رجلا كريماً لا يبخل على تلاميذه بحسن الوفادة ، وإكرام المثوى والمؤنة المادية ، وأنهم

على هامش النقد :

٣ - فى عالم القصـــة

الرواية الشعرية بين شوقى ، وعزيز أباظة

للأستاذ سيد قطب

عيب من عيوبى ، أننى أنفر من الزحمة ، وأكره الضجيج . وأطبق هذا فى عالم الأدب كتطبيقى له فى عالم الحياة . فيكفى أن تثور الضجة حول مؤلَّف أو مؤلِّف ، حتى يصرفنى هذا عنه إلى حين ، ثم أتناوله فى هدوء وانفراد لأرى رأيى فيه . وكذلك أصنع مع كل شخصية فى الحياة يتزاحم حولها المتزاحمون ، إلا أن يخلو الجو ، وتهدأ الضجة ، فأقرب من هذه الشخصية لأتملاها ، وكأنما لم أسمع من قبل عنها شيئاً !

ويسبق إلى نفسى سوء الظن ؛ بكل ضجة وازدحام . ويقع فى بعض الأحيان ، أن يتبين لى خطئى فى إساءة الظن بإحدى الضجات ؛ ولكن هذا لا يعصمنى فى المرة التالية ، من تغلب هذا الطبع ، أو هذا العيب ، الذى أعترف به ولا أخفيه !

كان هذا شأنى منذ أكثر من عشر سنوات مع « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم . فإنى لأذكر أن ضجة استقباله فى عالم الأدب ، قد أخرتنى نحو عام كامل لا أقرأ الكتاب ، ولا أعرف عن صاحبه شيئاً ، حتى قرأته ، فعلمت خطئى فى هذا التأخير

وكذلك كان شأنى مع « قيس ولبنى » لعزيز أباظة . لقد كنت أعرف فيمن أثنوا على الرواية وشاعرها من لا أشك فى صدق تقديرهم وصدق تعبيرهم ولكنى كنت أعرف بجوارهم جماعة أخرى ؛ يضجون ويتبارون فى الضجيج ؛ وأنا على يقين جازم من أنهم إنما يتوجهون بالضجة إلى عزيز بك أباظة المدير !

ولما كنت قد قضيت شطراً من حياتى فى احتقار هذا الصنف من الناس ؛ وفى كشف العوامل الخفية التى تحفز هذه الطفيليات الواغلة فى الأدب . فقد وجدتنى — دون وعى — أعزف عن شهود الرواية وهى تمثل على المسرح ، وأعزف عن قراءتها بعد أن طبعت فى كتاب . وكأنما اختلطت الرواية فى وعى

ذكروا صنفاً من البطيخ عنده مرة ، فأرسل من اشترى لهم منه حِملاً كاملاً ، أكلوا منه ونعموا ، ولم يَذق هو منه شيئاً ... لو ذكرنا ذلك كله لما ضحك أحد علينا حين نستنتج أن أبا العلاء لم يكن يعلم الطلبة لله ، ولم يكن يؤلف كتبه — حين تطلب منه — لله ! بل كان الرجل يأخذ على ذلك كله أجوراً تتراوح بين القلة والكثرة ، وإن يكن لم ينعم من أجورها بشىء إلا ما ينفقه على ضرورات حياته الضيقة ، ثم ينفق الباقى فى شراء الورق أو الكاغد أو المداد والأقلام ... وفى شراء المصادر التى لم يكن له غناء عنها ... إذ من السذاجة أن نذهب مع الذاهبين إلى أن ذهن أبى العلاء ، بالغا ما بلغ من القوة ، كان يختزن كل تلك الغرائب اللغوية دون حاجة إلى مصدر يضبطها له أو يمسكها عليه . وقد أشار الدكتور طه فى غير كتاب من كتبه عن أبى العلاء إلى أن الرجل كان يقبل الهدايا من أصدقائه ومحبيه . ولست أدرى ماذا منع الدكتور من الجهر بما نذهب إليه الآن من أن أبا العلاء لم يكن يُعلم ولم يكن يؤلف ، لله ، ولا بالهدايا ، ولكن بأجر كريم معلوم . إذ ما سؤال هذا الدمشقى عن أبى العلاء ، وما إحفاؤه المسئلة عنه ، وما إرادة أبى العلاء أن يجزيه على ذلك ؟ أصحيح أن إحفاء المسئلة عن أبى العلاء هو كثرة السؤال عنه ؟ كلا ... فإن لم يكن فى الرواية خطأ فى النقل فالمقصود هو وفرة ما كان يغمر به الرجل أبا العلاء من الهدايا ، كما يظن الدكتور طه ، ومن المال الكريم المعلوم كما نظن نحن ...

ولكن ما شاعرية أبى العلاء وأثر ذلك كله فيها ؟

إذن فرأينا أن أبا العلاء كان شاعراً عالماً أول أمره بالشعر والعلم ، فلما انطوى على نفسه فى المعرة سنة ٤٠٠ هـ صار عالماً شاعراً . فأبو العلاء فى سقط الزند غير أبى العلاء فى اللزوميات . إنه فى سقط الزند شاعر عالم فيلسوف ، لكنه فى اللزوميات فيلسوف عالم شاعر ... ولن تكن له فى اللزوميات قطع تزرى بعض أبياتها بأكثر ما نعرف من شعر

والذين يقولون إن ثقافة أبى العلاء قد ذهبت بطلاوة شعره ، أناس لا يعرفون أبا العلاء حق المعرفة . إنهم حريون أن يسألوا : ماذا اضطر أبا العلاء إلى هذا المركب الخشن فى شعره وفى معظم ما ألف من الكتب ؟ ولقد أجاب رجل أبى العلاء عن ذلك ، فليرجع إليه من شاء .

دريني خشبة

الباطن بما أكرهه من تزاحم المتزاحمين !

وأخيراً أقرأ فى مجلة الثقافة للدكتور الفاضل أحمد بك زكى كلمة تحت عنوان : « بين المقروء والمسموع » يثنى فيه على « قيس ولبنى » ثم يوازن بينها وبين « مجنون ليلى » فيفضل الثانية على الأولى

والدكتور زكى بك من الرجال القلائل الذين أشعر لهم بالود والاحترام فى هذا الزمان ، والذين أثق بأخلاقهم وتلذ لى قراءتهم فى آن . ولكنى أعرف « مجنون ليلى » وأعرف مستواها الفنى والتعبيرى !

قلت فى نفسى : إن كلمة هذا الرجل الفاضل فى الموازنة بين الروايتين فرصة سانحة لقراءتهما جميعاً

* * *

قال الدكتور زكى :

« وجلست إلى « قيس ولبنى » أقرؤه ساعتين حتى أتيت على آخره . أفتدرى إلام شاقنى ؟ شاقنى إلى صنوه « مجنون ليلى » لشوقى بك . ومددت يدى فجررته من محبسه على رف الكتب . وأخذت أقرأ لشوقى ، فما أحسست أنى انتقلت بعيداً . كان إحساسى إحساس من انتقل من منشستر إلى لندن ، أو من ليون إلى باريس ، أو من الأسكندرية إلى القاهرة . الناس هم الناس ، واللسان هو اللسان ، وأسلوب العيش هو أسلوب العيش ، والمدنية هى المدنية ، وإنما فى ظرف أكبر . فعزيز يترسم خطوات شوق ، وله من جزالة لفظه ما يعينه على أن يحاكيه فيقاربه ، ويقاربه كثيراً . وهذه خير تحية (يتحى[1]) بها شاعر فى مصر أو فى الشرق كله

« كان هذا إحساسى . إلى أن بلغت إلى قول شوق على لسان قيس . قيس ليلى . إذ بلغ وهو فى سبيله إلى ليلى ، جبل التوباد ، ملعب صباهما ومرتع شبابهما . قال قيس ليلى :

جبل التوباد حياك الحيا وسقى الله صبانا ورعى
فيك ناغينا الهوى من مهده ورضعناه فكنت المرضعا
وحدونا الشمس فى مغربها وبكرنا فسبقنا المطلعا
وعلى سفحك عشنا زمناً ورعينا غنم الأهل معا
هذه الربوة كانت ملعباً لشبابينا وكانت مرتعا
كم بنينا فى حصاها أربعاً وانثنينا فمحونا الأربعا
وخططنا فى نقا الرمل فلم تحفظ الريح ولا الرمل وعى

« الله ! الله !

لم تزل ليلى بعينى طفلة لم تزد عن أمس إلا إصبعا
ما لأحجارك صماً كلما هاج بى الشوق أبت أن تسمعا
كلما جئتك راجعت الصبا فأبت أيامه أن ترجعا
قد يهون العمر إلا ساعة وتهون الأرض إلا موضعا

« الله ! الله ! مرة أخرى ، لهذا البيت الأخير

« بلغت هذه القطعة ، فقلت : معيار المقارنة أن أجد مثلها لقيس لبنى . وبحثت فلم أجد

« أم أنا عميت ؟ ربما ...

« أم أنى نظرت فى الكتابين نظرة القارئ العادى ، ومثل هذا الذى طلبت ، يحتاج لا إلى بصر قارئ مثلى عابر ، وإنما إلى بصيرة أديب مكين ؟ ربما أيضاً »

* * *

ومع احترامى لهذا التواضع العلمى النبيل فيما كتبه الدكتور العالم الأديب . فإننى أخشى أن تكون عاطفة « تقديس الموتى » — وهى عاطفة إنسانية عامة وعاطفة مصرية خاصة — قد غلبت فى نفسه على حاسة الفن ، التى ألمحها فى كل ما يكتبه !

وإلا فما يمكن أن يقرأ الإنسان هاتين الروايتين فى وقت واحد ؛ دون أن يحس بالفارق الهائل بين الحياة الحارة والصدق الطبيعى ، فى « قيس ولبنى » ، وبين الموت البارد ، والتلفيق المتهافت فى « مجنون ليلى » من ناحية رسم الشخصيات وإجراء الحوادث والعرض الفنى . ولا بين الطلاقة والقدرة على الأداء فى الرواية الأولى ، والاضطرار والتهافت فى مواضع كثيرة من الرواية الثانية

ويجب أن يلاحظ أننى أتحدث عن « الروايتين » لا عن « الشاعرين » فشوقى الشاعر قد يكون أكبر من عزيز أباظة الشاعر فى مجموعهما . ولكن رواية « مجنون ليلى » أصغر بما لا يقاس من رواية « قيس ولبنى » . أصغر من جميع الوجوه التى تقاس منها الرواية الشعرية

والقطعة التى اقتبسها الدكتور زكى من « مجنون ليلى » قطعة عذبة النغمة جميلة التصوير ، وهناك قطعة أخرى أو قطعتان فى الرواية من هذا النوع . ولكن الرواية وحدة كاملة تقاس

(١) صحتها (يحيا) ولعلها سهو السرعة والقبس من كلمة تحية

بمجموعها : برسم الشخصيات ، وإجراء الحوادث ، وعرض المشاهد ، والتعبير القوى عن هذا كله فى النهاية . وقياس الروايتين على هذا النحو ، لا يدع مجالاً للشك فى تقرير الحقيقة التى أسلفناها

إن معظم الخطأ الذى قد نقع فيه عند الموازنة بين عمل شاعر كشوقى بك ، نال فى زمانه شهرة عالية ؛ وبين عمل لأحد الأدباء المعاصرين . إنما ينشأ من اعتمادنا على ما تحوى ذاكرتنا من ظنون سابق ؛ واطمئناننا إلى هـذه الأوهام المقررة ؛ والاستغناء بذلك عن مراجعة الأثر الفنى مراجعة جديدة

ولـكن الدكتور زكى بك يقول : إنه أعاد قراءة « مجنون ليلى » . وهذا هو موضع العجب . فالأمر من الوضوح الحاسم ، بحيث لا يقع فيه التباس

إن عمل شوقى بك فى « مجنون ليلى » كان عملاً مشكوراً من الوجهة التاريخية فى الأدب . وذلك لفتح هذا المجال ، ومحاولة نظم الرواية فى اللغة العربية — وإن يكن غيره قد حاول قبله ولم يبلغ ما بلغه — وعند هذا الحد يقف تقدير هذه الروايات التى أخرجها جميعاً ، و « مجنون ليلى » فى أولها

فأما حين تعرض هذه الروايات للتقدير الفنى ، فإنها تبدو عملاً بدائياً متهافتاً من جميع الوجوه

وأول ما يلحق الناقد فى « مجنون ليلى » هو البرود والركود . فالمجنون — وهو المثل الأعلى لحرارة العاطفة ، وللجد فيها ذلك الجد المتلف — يصبح فى يد شوقى طيفاً متهافتاً كأنه أحد شبان القاهرة المترفين الأطرياء اللطاف ! كل حرارة الحب عنده بكاء ودموع وإغماء . وذلك كل نصيبه من الجد فى هذه العاطفة المشبوبة . بينما يلمح فى « قيس ولبنى » حرارة العاشق ، وحركة الإنسان ، وفحولة هذه العاطفة فى نفسه المحبة المهتاجة

إنك لا تلمح مرة واحدة فى « مجنون ليلى » تلك الحرقة اللاعجة ، ولا تلك الثورة العاصفة . ولم تـكن كل ميزة المجنون هى الحب المتهالك الذائب من الرقة والحنين — كما فهم شـوقى وكما يفهم الـكثيرون من الظرفاء المترفين الوادعين — إنما كانت هى الثورة المشبوبة والحرقة الموقدة ، والاضطرام المنيف

لقد كان يحب ، ولم يكن « يتدلع » ! وكان هذا الحب يتعمقه ويهيجه ويشقيه ، وكان هذا الحب بقيمه ويقعده ويثير أعمق مشاعره ، ويهزه فى الصميم ؛ ولم يكن الإغماء والنواح هو كل حظه من الحب المجنون !

استمع إليه فيما يروى له من شعر ، ثم استمع إليه فيما ينطق به شوقى ، تجد المسافة شاسعة بين شعور وشعور :

استمع إليه يقول :

فيـارب إذ صيّرت ليلى هى المنى
فزنّى بعينيهـا كما زنتها ليـا
وإلا فبغضها إلىّ وأهلهـا
فإنى بليلى قد لقيت الدواهيا

أو قوله :

كأن فؤادى فى مخالب طائر
إذا ذكرت لبلى يشد به قبضا
كأن فجاج الأرض حلقة خاتم
علىّ فما تزداد طولاً ولا عرضا

هذه النغمة الجادة ، التى تشعرك « بالهول » فى هذا الحب المنيف العميق ، لا تسمعها مرة واحدة فى « مجنون ليلى » . وذلك هو القيـاس الأول فى صحة رسم شخصية المجنون ، وتصوير عاطفته كانسان يحب حقيقة ، لا مترف يتظارف بالتهالك فى الحب و « يذوب » حنيناً وإغماء كأن « الذوبان » هو وحده دلالة الحب الانسانى العميق !

فإذا شئت هذه النغمة الجادة الصادقة العميقة ، فإنك واجدها فى « قيس ولبنى »

إن شوقى لم يعرف الحب ، وأغلب الظن أنه لم يعرف « الألم » والألم هو ذلك الزاد الإلهى ، الذى يفجر عواطف الفنان ؛ وبدونه يصبح الفن بل تصبح الحياة كلها متعة رخية توحى باللطف والرقة ، ولـكنها لا توحى بالعمق والصدق . وما الحب وما الحياة بدون الألم الصادق العميق ؟

أما عرض المواقف والمشاهد ، فتبدو فيها السذاجة وقلة الحيلة ، فى إثارة النظارة بالمشاهد اللاقة . وذلك طبيعى ما دامت الحرارة الإنسانية الطبيعية مفقودة

وإلا ففيم هذا الإغماء الذى لا يفيق منه المجنون حتى يعود إليه خمس مرات ! لقد أغمى على « قيس لبنى » مرتين . ولـكن ذلك كان لمرض هدّه ولأزمات نفسية حقيقية تهد الـكيان . أما المجنون ، فيبدو لنا متهالـكاً متهافتاً منذ أول فصل فى الرواية ، قبل أية أزمة من الأزمات ، قبل أن تمنع منه ليلى وقبل أن يهدر دمه وقبل أن تتزوج سـواه فـكأنما هو

« مستمد سافاً » لهذ « الذوبان » الرقيق لأن هذه هي سمة الحب الوحيدة ، كما يتوهمها الرجل الظريف !

ومشهد وادى عبقر وشياطينه وحواره مع شيطانه ، وكذلك مشهد الصبية الذين يتحاورون : فريق مع المجنون وفريق عليه كلاهما حيلة من الحيل الرخيصة ، التي تنشئها « قلة الحيلة » للفت النظر ، حينما تقل الحرارة الطبيعية الصادقة !

وأعجب شيء هو ذلك الخصام بين رجال قيس ورجال لبنى ، وكأنه لا يجرى فى الصحراء وما بها من رجولة وفتوة ، إنما يجرى فى « صالون » بين بعض المترفين الظرفاء ويا للأخفاق عند ما أراد شوق أن يقلد شكسبير فى يوليوس قيصر ، فيصور ثورة الجماهير واندفاعها من جانب إلى جانب ، متأثرة ببلاغة خطيب !

وموقف « ورد » زوج ليلى ذلك الموقف الطرىّ المريب . ألكي يقول لنا : إنه رجل كريمٌ عطوف . لقد صور لنا « عزيز أباظة » ذلك الموقف نفسه أو ما يشبهه يقفه زوج لبنى فلم يعل به إلى هـذه الطراوة المخنثة ، وهو يصور نبله وكرمه . ذلك أنه صوره « إنساناً » حياً ، لا دمية من الدمى ، التى عرضها شوق وسماها أشخاصاً !

وذلك فى الحقيقة هو الفارق الأصيل بين الروايتين والمؤلفين وهو يلخص الفوارق كلها ، ويختصرها : الصدق والطبيعة ، والتلفيق والصنعة فى كل موقف ، وفى كل شخصية ، وفى كل عاطفة أو شعور

ومن المعجيب أن تخون شوقي فى رواياته الشعرية أقوى خصائصه التى بهرت أهل زمانه ، وهى قوة الأداء ووضوح التنغيم . فى مجنون ليلى اضطرارات فى التعبير لا تجد لها مثالاً واحداً فى « قيس ولبنى »

فى بيت واحد كهذا :

لِمَ إذن يا هند من قيس وىما قال تَبْرا

يضطر إلى تسكين الميم فى « لِمَ » وتسهيل الهمزة فى تبرأ . ويطرد هـذا التسهيل فى مواضع شتى مثل (كيف تجرًا) أى تجرأ ، و (تهزا بنا) أى تهزأ . . الخ

وتشاء تصبح « تشا » فقط اضطراراً للقافية فى قوله :

وليلى تفيض على من تشاء رضـاها وتحرمه من تشا

و « مُنازل » تصبح « مُنازِ » فقط لضرورة الوزن فى قوله :

« أنعم (منازِ) مساء نعمت سعد مساء »

وليلى تصبح (ليلَ) لنفس السبب في بيت ينطق به ثلاثة :

أوغل الليـل فلنقم

بـل رويداً واسمعي (ليلَ)

خلِّ عنى دعـنى

ومظلوم هـذا « الترخيم » الذى يسرف شوق فى استعماله كلما نادى واحتاج للحذف خضوعاً للضرورات النظمية !

والرُّبىَ تصبح (الرُّبِى) لحركة القافية :

عارضنا الحسين فى طريقـه ليـثرب

هـذا سنى جبينه ملء الوهاد والرُّبى

وشيطان من وادى عبقر ممن يوحون بالشعر للشعراء يهبط ويهبط حتى يضع لا للناهية فى موضع لا النافية لضعفه فى النظم كقوله . « لا أدر . تلك ضجة » !

وكثير من مثل هذه الاضطرارات التى يعانيها المبتدئون فى النظم ، والتى تندر فى شعر شوق في غير الروايات ، مما يدل على أنه كان يعانى ، لا فى تلفيق المواقف فحسب ، ولكن فى تذليل النظم أيضاً

وهذه عيوب تفهم حين ننظر نظرة تاريخية كما قلنا ، فنسجل أن شوق كان يطوع اللغة لفن جديد عليها فكان عمله هو عمل المبتدىء ؛ وجهده هو جهد المبتدىء . وهذا كلام مفهوم . فأما حين نقيسه إلى عمل ناضج من الوجهة الفنية ومن الوجهة التعبيرية كالعمل الذى قام به عزيز أباظة فى « قيس ولبنى » فإننا نشعر بالفارق العظيم بين العملين من الوجهة الفنية الصحيحة .

سيد قطب

الأستاذ سيد قطب

بين تيمور ونجيب محفوظ

للأستاذ صلاح ذهني

نشر الأستاذ الناقد سيد قطب مقالين عن القصة في مجلة الرسالة الغراء تحدث في أولها عن أدب محمود تيمور ، وعرض في الثانية لقصة الأستاذ نجيب محفوظ « كفاح طيبه » ، وبقدر ما أثار مقاله الأول دهشتي ؛ فإن مقاله الثاني قد خفف من هذه الدهشة وأحالها إلى أسف عميق للوقت المضاع الذي صرفته في قراءة المقالين — وكلاهما عن القصة — متوقعاً مرجوّ الفائدة من مقالين لناقد أشهد أني طالما قرأت له في النقد أبحاثاً طيبة .

أما الدهشة فقد كان مبعثها حيرة ناقد يفهم في القصة أمام فن الأستاذ تيمور وأمام الطائفة (ولا أقول المدرسة فقد أوقع هذا اللفظ الأستاذ سيد قطب في سلسلة من الأخطاء) التي يمكن أن يوضع بين أفرادها .

أجل . لقد تملكت الحيرة الناقد سيد قطب ودار يطرق بفن محمود تيمور أبواب المذاهب الأدبية باحثاً له عن مأوى يركن إليه فما وجد . فآب إلينا بعد رحلته ينادي بحيرته ، ويقول إنه حائر بهذا الرجل «محمود تيمور» وبفنه .

دهشت كل الدهشة لأنني ، ولست ناقداً ، استطعت أن أضع تيموراً في مكانه منذ أقاصيصه الأولى ، واستطاع العشرات من الكتاب أيضاً أن يضعوه في هذا المكان ، فقلت وقالوا عنه أنه واحد من رواد المذهب الواقعي ، واختلفت واختلفوا في أمر واحد ، هو قدر تيمور بين رواد هـذا المذهب . وهنا تشعبت الآراء واختلفت ، وأحسب أن كاتباً من الكتاب غير تيمور لابد إذا وضع موضع الدراسة والتقدير أن يعاني نفس الاختلاف بين ناقد وناقد ، لأن مذاهب الأدب ومدارسه ، ليست كما يتصورها الأستاذ سيد قطب معسكر اعتقال تحكمه قوانين صارمة ، وإنما هي في الواقع تسمى مدارس تجوزا ، حقيقة الأمر فيها أنها مجرد أبواب . أبواب مختلفة لمدرسة واحدة ، لكل طائفة باب تسلك منه إلى داخلها ، ولن تقوم القيامة حين يدخل كاتب من باب غير بابه ، ولن يُشنَق الناقد إن سلك كاتباً في غير طائفته فلابد واجدٌ في أدبه ما يصله بهذه الطائفة أو تلك أو غيرها .

لذلك دهشت ورثيت للأستاذ سيد قطب وهو يدور بتيمور فأتعب الرجل وأضنى نفسه .

ولو علم أنه وهو يطوف بتيمور أقحم ثلاثة غيره في غير أبوابهم فما قامت القيامة ولا أمسك إنسان بتلابيبه لأراح نفسه

ألم يضع توفيق الحكيم صاحب مذهب في القصة ، وليس لتوفيق في القصة ناقة ولا جمل ، وما كان فيها صاحب مدرسة ؟

ألم يهمل توفيق الحكيم نفسه حين تكلم عن الرواية المصرية في مقاله الثاني عن رواية نجيب محفوظ « كفاح طيبة » ؟ هنا حيث المجال طيب المقارنة وسلك الكتاب في طائفتهم واجب . فكلاهما ولى وجهه شطر مصر القديمة ، وكلاهما أخرج عملاً مصرياً يشيد بمجد مصر القديمة ؟

ألم يقحم أستاذنا المازني في سلك كتاب القصة ، ومع ما أكنه ويكنه الكثيرون للأستاذ المازني من تقدير ؛ فما جرؤ واحد منا أن يقول عنه إنه صاحب مذهب في القصة ؟

ثم ألم يمسك بيد القصصي البارع يوسف جوهر ليقوده إلى حرم جي دي موباسان حيث كل شيء غريب عليه ، ولو أنه أمسك بيده الأخرى تيمور لأنقذ نفسه وصاحبه من الخجل ، ولوجد بين يدي موباسان عذراً لزيارته الطارئة . إنه على الأقل كان يدخل بإنسان يعرف المكان ؟

ومع ذلك فما حدث كان يسيراً ، أربعة أخطاء يسيرة

وضع كاتب رواية Novelist بين كتاب القصة القصيرة Short story writers

ووضع كاتب مقالة ممتاز Essayist في عداد القصصيين .

وأقحم يوسف جوهر في مدرسة موباسان دون مؤهلات ، ولا حتى طلب التحاق ...

ورابعة الأخطاء — وليست الأثافي — الوقوف بتيمور أمام الباب الذي يجب أن يدخل منه ، باب الواقعية ، باب موباسان العظيم . الوقوف ساعات ثم الانصراف بالحيرة والتبلبل ،

ولا ذنب لتيمور إلا أنه وقع بين ناقد فاضل لا يجيد قراءة اللافتات « اليُفط » !

وبعد !

أيجب أن أقول إن الناقد الفاضل سيد قطب ، كما أخطأ فى مقاييس النقد قد أخطأ فى حق التاريخ — علم التاريخ — فزلت قدمه فى مقاله الثانى بدفعة لعينة من تلك العقيدة التى تسيطر عليه من أن النقد لا يكون صحيحاً إلا إذا كشف عن نقائص ، أو ابتكر نقائص ...

ذلك ما حدث فى المقال الثانى الذى كتبه عن الرواية الرائعة « كفاح طيبه » للأستاذ نجيب محفوظ . فقد سرد ما فى القصة من مزايا وما لها من قدر كعمل قوى ، ولون من الكتابة يتطلبه الأدب المصرى ، وأثنى على الكاتب ، ثم ! ثم تذكر عقيدته فى النقد فكشف عن بعض الهنات التى انطوى عليها الكتاب ، فذكر من هذه الهنات أربعة أخطاء . أخطاء تاريخية !

الأولى أن المؤلف — نجيب محفوظ — قدَّر مدة حكم الرعاة « الهكسوس » فى مصر بمائتى عام ، والراجح (عند الأستاذ سيد قطب) أنها حوالى خمسمائة عام

والثانية أن كلمة « أحمس » أوَّلها المؤلف أنها مشتقة من الحماسة ، وهذا خطأ فى رأى سيد قطب ، لأن هذا الاشتقاق فى اللغة العربية ، وأحمس مجرد اسم مصرى قديم

والثالثة : أن نجيب محفوظ ذكر اسم « بلاد النوبة » ، والواقع أن النوبة هى التسمية الحديثة لهذه البلاد

والرابعة : أن المؤلف ساق خلال الحوار جملة على لسان سكنن رع الملك المصرى ، يستنكر فيها أن يكون للرعاة من المجلات الحربية أضعاف ما للمصريين منها . ولا يعجب هو بهذا الاستنكار ، لأن الهكسوس هم الذين أدخلوا المجلات الحربية إلى مصر

والحق أن المخطئ هو الأستاذ سيد قطب !

ذلك أن ما قاله نجيب محفوظ هو الحقيقة التاريخية الثابتة

فالهكسوس لم يمكثوا فى مصر أكثر من مائتى عام ، بل أقل من ذلك .

وليعد الأستاذ سيد قطب إلى المرجع العربى الذى يستطيع أن يحصل عليه ويقرأه بسهولة ، وهو « المجمل فى تاريخ مصر » الجزء الخاص بمصر القديمة من وضع الدكتور عبد المنعم أبو بكر

وبلاد النوبة هى نفسها بلاد النوبة القديمة ، كما أن كلمة « نوب » معناها القديم هو الذهب ، وكان المصريون يسمونها النوبة ، لأنها بلاد الذهب ، ويسمون الإله « حوريس » « حوريس نوب » ، أى حوريس الذهبى

أما بلاد بنت التى يقول عنها فهى الصومال الحالية !

وأحمس اسم بمعناه يدل على الجرأة والإقدام فى اللغة المصرية القديمة .

وأما قصة المجلات الحربية فالكلام الذى ورد فى الحوار على لسان الملك سكنن رع حقيقة تاريخية

فهو يقول : « لم تكن المجلات من آلات الحرب لدي الرعاة ، فكيف يكون لجيشهم أضعاف ما لجيشنا منها ؟ »

فالمجلات لم تكن من آلات الحرب لدى الرعاة ، كانت آلتهم الحربية هى الحصان ، وعندما مروا بفلسطين عرفوا المجلات واستخدموها ، ونفس اشتقاق كلة عجلة أو مركبة من الكلمة القديمة « مجُلْتى » أو « مركبوتْ » معناها العجلة أو المركبة عند سكان سوريا وفلسطين وهى نفس الكلمة التى أطلقها المصريون إذ ذاك . ولا يعنى ذلك أن المصريين لم يعرفوا المجلات ، فقد عرفوها من قبل ورأوها قطعاً فى رحلاتهم وغزواتهم فى عهد الدولة الوسطى والدولة القديمة ، لكنهم لم يستعملوها ولم يأخذوا بها . فليس غريباً أن يستنكر الملك أن يكون لدى الهكسوس عدد كبير منها ، بينما ليس يديه هو هذا القدر ، وهو صاحب مصر العليا ، وادبه من الأيدى الصانعة أضعاف ما لدى ملك الهكسوس

هذه هى الهنات التى كشفها الأستاذ سيد قطب . إنما هى حقائق تاريخية لا تقبل الجدل . وكل ما كشف عنه الناقد هو حاجته للكثير من الاطلاع والتريث والصبر ، الكثير الذى يجنبه حيرة هى أقرب شىء للجهل ، ويجنبه أخطاء إن تكررت فقد تدعو الكثيرين من أمثالى ممن أعجبوا به فى أبحاثه الماضية لإعادة النظر فى كل ما رواه إذ ذاك على أنه حقائق

فإن لم يكن لديه الصبر فليعد إلى نقد الشعر ، ولن يضيره شيئاً أن يقال إنه ناقد شعر فحسب

صموع زهنى

لجنة النشر للجامعيين - أصدرت عام ١٩٤٤

			الثمن ص
ثلاثة رجال وامرأة	للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى	(قصة تحليلية)	٢٠
سلامة القس	للأستاذ على أحمد باكثير	(قصة رائعة تستمد الآنسة أم كلثوم لإخراجها فى السينما)	١٥
أقاصيص	للاساتذة : المازنى . تيمور . المصرى . صلاح ذهنى . سعيد عبده . نجيب محفوظ . عادل كامل	مجموعة طريفة من الأقاصيص وألوان مختلفة . ١١ أقصوصة	١٥
بلال مؤذن الرسول	للاستاذ عبد الحميد جودة السحار	ترجمة حياة الصحابى الجليل فى أسلوب قصصى شائق	١٥
ع الماشى	للاستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى	مجموعة أقاصيص طريفة من وحى فلسطين ولبنان والعراق	١٥
حديقة أبى العلاء	للاستاذ كامل كيلانى	مساهمة فى العيد الألفى لأبى العلاء	١٥
كفاح طيبة	للاستاذ نجيب محفوظ	قصة فرعونية أجمع النقاد على أنها أحسن قصة فرعونية صدرت حتى الآن	١٥
أبو ذر الغفارى ، صدر ببحث الاشتراكية فى الإسلام	للاستاذ عبد الحميد جودة السحار	نفدت الطبعة الثانية وتظهر الطبعة الثالثة قريبا	١٥
عشاق العرب	للاستاذ كامل محمد عجلان	خمسة كتب فى كتاب (حبابه - جميل - زينب - لبنى - غادة الهودج) حوار أدبى فى جو تاريخى وإيجاز بليغ	١٥
قصر الهودج	للاستاذ على أحمد باكثير	مسرحية شعرية غنائية غزل . غرام . غناء	١٥
خريف امرأة	للاستاذ إبراهيم المصرى	مجموعة أقاصيص	١٥

تحت الطبع

مليم الأكبر	للاستاذ عادل كامل	أول قصة مصرية طويلة تصدر بمقدمة طويلة ١٥٠ صفحة	١٥
محمد نبى الله	تأليف مولاى محمد على وترجمة الأستاذ مصطفى فهمى	أحسن ما كتب عن محمد صلى الله عليه وسلم	
وا إسلاماه	للاستاذ على أحمد باكثير	القصة الفائزة بجائزة وزارة المعارف تشرح حقبه غامضة فى التاريخ المصرى والإسلامى	
أسيادنا الموظفون	للاستاذ عبد الحميد جودة السحار	مجموعة أقاصيص انتقادية	
ملك من شعاع	للاستاذ عادل كامل	القصة الفائزة بجائزة وزارة المعارف تحفة فنية رائعة عمل أدبى عظيم	
فى خان الخليلى	للاستاذ نجيب محفوظ	قصة مصرية طويلة	
سعد بن أبى وقاص وأبطال القادسية	للاستاذ عبد الحميد جودة السحار	ترجمة اسلامية قصصية	

كتب أخرى كثيرة ...

جميع هذه الكتب تطلب من مكتبة مصر ومطبعتها

٦٣ شارع الفجالة بالقاهرة

حول مقـــال . . .

للدكتور سيد نوفل

كتبت مقالاً في مجلة (الثقافة) عن الشوامخ سلكت فيه طريق الناقد المعنى بتبيان الحقائق ، وعرض المآخذ ، في أسلوب علمي يورد الحجة ، وينأى عن التجريح

أوردت ملاحظاتى على أبواب الـكتاب ، وبينت ما يشيع فيه من الاضطراب والاستطراد ، وما يرد من أقوال عامة ، يقع فيها أكثر الذين يأخذون العلم عن الصحف وحدها ، تتناقض حيناً ، ولا تثبت للبحث دائماً

وانتهيت إلى « أن هذه الصفحات المائة تتحدث عن الأدب العربي من امرئ القيس إلى مطران ، وأن المؤلف كان حريصاً على إيراد كل علمه فيها ، فران عليها الاضطراب والاستطراد ، وأنها لا تعدو الإيراد المقتضب والنظرات العجلى »

ثم لم أغمط المؤلف حقه فقلت : « لـكنها في الحق من قبيل التعبير القريب الهين عن إعجاب قارئ بشاعر اطلع على بعض شعره ، وطائفة من أقوال الناس فيه . ومن هنا فهي حقيقة بالحمد من مؤلف يعتبر نفسه مؤرخاً سياسياً »

لـكن الدكتور المؤرخ ، هاج وماج على طريقته ، ونقم على حظه العاثر ، وتبين نفسه في موضعها القلق من هذا العالم الظالم العاتى ، وبلغ التشاؤم منه مبلغه ، فضاق بالدنيا وبكل ما فيها من معان ومن فيها من ناس ...

ومن حسن الحظ أن عقل الإنسان ، أو بعض بنى الإنسان ، يجد لصاحبه مخارج من المآزق دائماً ، فهدى الدكتور عقـله الـكبير إلى أن له أسوة ، ويا لها من أسوة ! فما أصاب شوقي ، وما أصاب البحترى وفـكتور هوجو من قبله ... قد تعرضوا لهجمات النقاد وقد صبروا ، وما أجدره أن يصبر ، وألا يحمل نفسه ولا أهله مكروهاً . ولهذا اطمأن واستراح

هذه خلاصة دقيقة لمقال الدكتور الذى صاغ مادته ، وأعتذر للقراء من إيراد بعض ألفاظه ، من (البقر) و (الحمير) و (النطح) و (الدجل) و (الجهالة) و (الشذوذ) و (الفوضى) ، وما إليها من مسارح ندع الدكتور الأديب المؤرخ يجول فيهـا ويصول ، ونمر باللغو كراما

وأربأ نفسى من مناقشته الحساب في هذا ، فنحن لم نتعلم هذا اللون من القول، ولم نصطنعه فيما مارسناه من نقد سنين طويلة .

وأختتم حديثى بنقد الـكلمة التى اعتبرها المؤلف بيت القصيد في كتابه ، وأوردها حكماً بيني وبينه :

لقد جعل أولها قوله : « وليس لأحد من المتقدمين والمتأخرين تحليقاته في أفق الطبيعة الواسع »

سبحانك اللهم وبحمدك ! هذا دليل لنا يورده المؤلف ذاته ، ومصداق لمـا أخذناه عليه من الأحكام العامة القاطعة التى لا يستطيع أحد أن يحمل تبعة الدفاع عنها ، ولا يثبت أكثرها في العلم به الأدب

هل أتاه حديث الشعر الذى سبق امرأ القيس والشعر الذى عاصره في الطبيعة ؟!

وهل علم المحاولات التى أعقبته ، وحديث النهضات المترامية في الشام والمشرق والأندلس ومصر بعده بقرون ؟!

وهل درس حركة « الرومنتسزم الغربية » وسيادة شعر الطبيعة فيها ، وقابل بين الخطوط الـكبيرة لهذا الشعر الغربى ، والخطوط الـكبيرة لشعر امرئ القيس ، ثم انتهى إلى ما قرر ؟!

إن هـذا اللون من الأحكام العامة منكر في باب البحث العلمى

ثم يقول : « وله في لمان البرق واختلاجه في السماء آيات لا هي من الوصف الحسى ، ولا هى من الوصف الخيالى ، وإنما هي تصوير فقط »

ما معنى هـذا ؟ لقد طلبت المعونة من الله والناس على حل ألغاز هذه العبارة ، فلم يجب دعائى ، ثم نظرت فتبينت الإحالة على أتمها : الحسى يقابله المعنوى لا الخيالى ، فهذا يقابله الحقيقى أو الواقعى . والوصف الحسى تصوير والوصف المعنوى تصوير ، وإذاً فلا تقوم هذه المقابلة العجيبة بين الوصفين وبين التصوير ، وما نعلم أن تصوير الشيء يخرج عن أن يكون وصفاً حسياً أو معنوياً له !

ودع عنك الألفاظ البراقة التي استعملها والتى لا تجمل في

لعنة الحرب

للأستاذ علي الجندي

[في سبتمبر سنة ١٩٤٤ دخلت الحرب في عامها السادس من أعوامها المشئومة ؛ وكان أكثر الناس على أن رحاها الطحون ستقف بعد سقوط باريس في يد القوات المتحالفة ، فاستبشرت النفوس الحزينة ، واستعدت لتلقى نعمة السلام ! ولكن الدوائر الأمريكية حذرت من التفاؤل ! ثم جاء ديجول فصرح : بأنها ستستمر أشهراً وأشهراً ! ثم أبان تشرشل في خطبته الجامعة بأن القتال سيتحر في سنة ٤٥ ! وليت شعري ماذا يبقى من معالم الحضارة وآثار المدنية بعد هذا العام ؟ ! نرجاك اللهم رحماك !]

طال ليلُ السُّرى وحار الدليلُ ... ونجومُ الهدى طواها الأُفولُ

وقف المدلجون : لا دَتَ الغا ... يةُ منهم ولا تَسَنَّى القُفول

كلَّ عام نؤمِّل الخير فيه ... ويَخيب الرَّجاء والتَّأميل

ظُلْمَةٌ فوق ظلمةٍ تتدجَّى ... ليس فيها على الصبَّاح دليل

وشقاءٌ ينساب إثر شقاء ... وعذابٌ بمثله موصول

ليت شعري والشر أطبق فكيه (م) علينا ، ألِلنَّجاة سبيل ؟ !

كيف ينجو الأنام من شرك الهُلْك ... ولم تبقَ للأنامِ عقول ؟ !

أشكل الأمر : لا الصباح صباح ... نجتليه ، ولا الأصيل أصيل

نبِّئوني : أين السلام ؟ فظنِّي ... ـ وهو صدق ـ أن السلام قتيل

مشت النارُ تأكل الحرث والنَّسلَ (م) ... وكلٌّ لها غداً مأكول

إنْ خبا جانبٌ تسعَّرَ منها ... جانبٌ حوله الدماء تسيل

رحمتا للدِّيار أمست خراباً ... وخراب الديار خطب يَهُول

بُدِّلتْ بالأنيس بُوماً يغنِّي ... فوقها ، والغُناء منه عويل

لا تقولوا : الجهّال خير من العا ... لِم ـ في عصرنا ـ الغبيُّ الجهول

غرَّنا العلمُ ، فالتمسنا هُداه ... فإذا العلمُ كلُّه تضليل

لا تقولوا : الألوانُ فالسُّودُ باتوا ... ـ فوقها ـ بعضهم لبعض خليل

لا رعى الله في الوجوه بياضاً ... خلفه الهمُّ والشقاء الطويل

لا تقولوا : الوحوش أظلم منها ... من تراه على البرىء يصول

ساكنُ الغابِ أدركَ الأمنَ في الغا ... ب ، وقد غالتِ الأناسيَّ غُول

غابة الوحش لم تدُسها العوادى ... والقصور التي بنيتم ، طُلول

إن يكن للذئاب أنيابها العُصلُ (م) ... فأنيابكم قنًا ونُصول

كل من في الوجود أرقم ليل ... قاتل ـ في بُراه ـ أو مقتول

سنَّ «قابيل» سُنَّة الفتك للنا ... س فلا كان منهمو «قابيل»

باب الدرس والتحليل إلا إذا كان من ورائها معان مقررة ودلائل بينة

أما الأبيات التي أوردها ، والتي تعتبر أقل شعر امرىء القيس دلالة في باب الطبيعة فهي ناطقة بأنها وصف حسي واقعي الهم إلا إذا كان البصر بالعين غير حسي ، وكان تصوير الحركات والأمكنة غير واقعي وكان الشاعر حريصاً على الواقعية حين اكتفى بالتشبيه ولم يستعمر

وهذه هي الأبيات :

قال :

أصاح ترى برقاً أريك وميضه ... كلمع اليدين في حبي مكلل

وقال :

أعني على برق أراه وميض ... يضيء حبياً في شماريخ بيض

ويهدأ تارات سناه وتارة ... ينوء كتعتاب الكسير المهيض

وتخرج منه لامعات كأنها ... أكف تلقى الفوز عند المفيض

* * *

وبعد ، فإن النقد الذي وجهته إلى الكتاب لا يزال قائماً لم يتناوله المؤلف بالرد ، وإنما دعمه بالتجائه إلى الشتائم وبالقطعة التي أوردها

فهل له أن يأخذ بطريق العلم والعقل ؟!

إنا لمنتظرون !

دكتور
سيد نوفل

سأل الناسُ ذاهلين حيارى ... ما أفاد المعقول والمنقول ! !
لا « الكتاب الحكيم » يلقى سميعاً ... ـ حين ندعو به ـ « ولا الإنجيل »
إن لله حكمة يسكنُ العقلُ (م) إليها إن خانه التأويلُ
فسدَ الناس واستطالوا على الله (م) فأخنى عليهمو « عزريل »

علي الجندي

نداء المـــوت(*)

[إلى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد]

للأستاذ محمد مجذوب

كم تنادي ياموت نفسيَ صيفاً ... أنا في الصيف لن أجيب النداء
كم تنادي ، والحسنُ يهتف بالكو ... ن فيلهي عن صوتك الأحياء
إذ يُسِرُّ العشبُ الحيِيُّ إلى الأ ... ظلال ما شئنَ من حديث وشاء
إذ يحنُّ الصفصاف ، والجدول الرقرا ... قُ مصغ والريح تغفـو رُخاء
إذ يموج اللبلاب فوق تخوم الرو ... ض ريّانَ نضرةً وسناء
إذ يغيب الوجود في غمرة الطيب ... فيهفو حتى الجمادُ انتشاء
... كم تنادي ! ... أفي عهود الأزا ... هير ، لك الويل ، تنشد الأصفاء !
عبثاً ترفع النداء فلن يبلغَ ... يا موت أذنيَ الصماء !
إن نفسي في شاغل عنك بالصيف ... ففي الصيف لن أجيب النداء

* * *

غير أني يا موت جِدُّ سميع ... دعوة القبر يوم أطوى الرجاء
يوم تعرى هذي الحياة من الحلى ... ويكسو حطامُها الغبراء
يوم تسرى الهوج الزعازع في السفح ... فيملا نحيحُها الأرجاء
يوم يستروحُ الرعاةُ من الشرق ... لهاث الصقيع يغزو الجِواء(1)
يوم لا حاصد هناك سوى النكبا ... ء(2) تغدو بها الحقول عَراء
يوم لا حاطب سوى منجل الإعصا ... رِ يجتاحُ هَوْلُه الأوداء(3)
يوم لا زهر في التراب سوى الثلج ... تغطّى به السماء الفضاء
يوم لا رغبة تجلجل في القلب ... ولا متعة تذود الشقاء
... يومذاك ادعُني تجدني ياموت ... ت مجيباً ، كما تحبُّ ، الدعاء

(طرطوس — سوريا) محمد مجذوب

(1) الجواء والأجواء جمع جو
(2) النكباء كل ريح انحرفت عن مهبها
(3) الأوداء جمع واد

(*) استوحيت هذه المنظومة من قصيدة الشاعرة الانكليزية روث بتر المترجمة في كتاب « عرائس وشياطين » للأستاذ العقاد . م . م



حرية الفكر أيضاً

إلى حضرة الفاضل الأستاذ عبد المنعم خلاف المحترم

أرجو من حضرة الأستاذ أن يتذكر – أو أن يعرف إذا كان لم يعرف – أن نسخ كتاب لبعض المؤلفين المعروفين أحرقت في مصر والشام، وأن بعض الكتب صودرت بعد طبعها ونشرها بعد زمن، وبعضها صودرت في المطبعة قبل أن تنشر، وأن الرقابة على المطبوعات غير مقتصرة على الكتابات السياسية فقط، وأن النقاش بين الكتاب في «الرسالة» حول «وحدة الوجود» مفعم بتهمة الكفر والإلحاد. أجل ليس الكفر جريمة ولا سبة، وقد يجاهر بعض الناس بأن دينه ما يحسبه الناس كفراً، ولكن الاتهام بالكفر عندنا إيغار لصدور الذين يحرقون الكتب والذين يلعنون الكتاب المكفَّرين، أي الذين يتوهم بعض القراء أنهم كافرون

أجل ليس أمام الكتاب الصريحين أو الصرحاء مشنقة ولا سجن، ولكن أمامهم نقمة فريق من الناس، فإذاً «الصراع في المجال الفكري متخذ سبيل القوة والإرغام حتى الاضطهاد» لذلك حذرت إخواننا الكتاب من التمادي في بحث «وحدة الوجود»

فمعذرة يا حضرة الأستاذ خلاف وتحية.

نقولا الحداد

عودة دجال «البديع» (1)

وقفت برهة أصغي إلى متطبب دجال يُروّج على الناس عقاقيره الزائفة من سفوف وسعوط ولعوق وسنون وبرود ولدود ووَجُور وذرور ... وهم يصيخون إلى أكاذيبه مصدقين

وكنت أعجب لغفلة القوم عن تزييف دجله، كما أعجب بلباقته وحسن تأتيه في التلبيس عليهم. وقد جعل من أول همه أن يكثّر عددهم من حوله: فأقبل يثني على من يتلبث أمامه يسيراً، ويقذع في سب من تحدثه نفسه بالزيال عن موضعه قبل أن يعي بقية مقاله

وتدفقتْ على خاطري وأنا أسمع كلمته هذه، صرخة «دجال» بديع الزمان في إحدى مقاماته حيث يقول: من كان منكم يحب الصحابة والجماعة، فليعرني سمعه ساعة! ورأيتني كراويته عيسى بن هشام «قد لزمت أرضي، صيانة لعرضي»

ثم راح دجالنا المصري يتحدث بكلام مؤثر بليغ، لا يعيبه إلا قلة حظه من فصاحة العربية. كلام لم أجد له ترجمة موجزة فصيحة أحسن من قول «دجال» البديع: حقيق عليَّ ألا أقول غير الحق، ولا أشهد إلا بالصدق

قد جئتكم ببشارة من نبيكم، لكني لا أؤديها حتى يطهر الله هذا المسجد من كل نذل يجحد نبوته! وثبت القوم في أماكنهم وثبتُّ معهم وأنا أغالب ابتسامة التعجب، مردداً قول ابن هشام في مثل هذا المقام: لقد ربطني بالقيود، وشدّني بالحبال السود!

ووصف دجالنا ما كان من جهاده في عالم الطب؛ وكيف فتح بأبحاثه موصد أبوابه، ووقع على أثمن كنوزه وأنفس أعلاقه، حتى لأرهفتُ أذني، لأن أسمعه يواصل حديثه فيقول ما قال سلفُه: ولا مَنَّ عليكم فما أعددتها إلا لغيري، ولا حصلتها إلا لنفسي — والحق أنه عبر عن هذا المعنى بأفصح لهجة عامية إن صح أن توصف عامية بالفصاحة

وبعد أن أوضح خصائص دوائه — ورقم تسجيله بوزارة الصحة! — عرضه على الحاضرين وهو يقول ما ترجمته: فمن استوهبه مني وهبته، ومن رد على ثمن القرطاس أخذته. ثم قال ما هو أقرب شيء إلى قول الأول: ليشتر مني من لا يتقزز موقف العبيد، ولا يأنف من كلمة التوحيد

وأشهد لقد رأيت القوم يجهرون بكلمة التوحيد – غير آنفين – ثم تنبسط أيديهم نحوه بالدراهم الكُثْر، ثمناً للدواء الذي لا يشفي، وقد يسقم

شهدت كل ذلك ثم انطلقت وحدي في زحمة هذه السوق الناشطة، وأنا أتعجب للنفس الإنسانية كيف تتواتر صورها على مرآة الزمان متشابهة في مكرها وغفلتها، واحتيالها وبلاهتها. وما زلت إلى اليوم أعجب لهذا الدجال – وأمثاله كثيرون – من

(1) هذا كما يقول السينمائيون: عودة طرزان وعودة فرانكشتاين

« فصاحته فى وقاحته ، وملاحته فى استماحته . وربطه الناس بحيلته ، وأخذه المال بوسيلته »

ولو أن القارىء الكريم استحضر فى ذهنه بعد مطالعة هذه الكلمة ، صورة أحد أولئك الدجالين ، أو سعى إلى مشاهدته حيث يقوم على رأس شارع أو فى صدر سوق — ثم أقبل يراجع مقامتى بديع الزمان : الرابعة السجستانية والعاشرة الأصفهانية . إذن لرأى فى وقائعهما التى تخيلها البديع على أساس من الحقيقة ، أعظم الشبه بوقائع دجاجلتنا ومُكْديِنا اليوم فما أشبه الليلة بالبارحة حقاً . لولا هذه الزيادات المتلاحقة من المآثم والشرور ، تزيد صفحة حياتنا قتاماً وتشويهاً ، وتضاعف من عمق إحساسنا بمرارة المنى الذى ينطوى عليه قول أبى الطيب :

أتى الزمانَ بنُوه فى شبيبته فسرَّهم ، وأتيناه على الهرم

(جرجا) محمود عزت عرفة

مقام الشهود لا وحدة الشهود

صوب الأستاذ أحمد صفوان فى العدد ٨ : من (الرسالة) إطلاق وحدة الشهود على وحدة الوجود ، وهذا لا يجوز ، فمذهب وحدة الوجود يتلخص فى أن الموجود الحقيقى هو الله تعالى ، وما عداه من المخلوقات فهو عدم حال كونه موجوداً ؛ فالكل محتاج إليه ، لأن به قيام كل شىء . وعلى هذا لا يصح إطلاق هذه التسمية عليه

وأما مقام الشهود فهو من مقامات الصوفية ، يصل الإنسان إليه بكثرة الذكر حتى يقع الشهود القلبى ، فإذا حصل الشهود واستغنى عن الذكر بمشاهدة المذكور ، وهذه حالة قلبية روحانية ليس لها علاقة بوحدة الوجود ، ولا يصل إليها إلا الكمّل الأطهار

(شطانوف) محمد منصور خضر

بين أبى العلاء وداعى الدعاة الفاطمى

فهمت مما كتبه الدكتور محمد كامل حسين فى العدد ٥٨٣ من (الرسالة) أن الرسائل التى تبودلت بين أبى العلاء ومناظره داعى الدعاة لم ينشرها غير المستشرق الإنجليزى مارجوليوث مرة سنة ١٨٩٦ ومرة سنة ١٩٠٢ بمجلة الجمعية الأسيوية الملكية ، ولكن هذه الرسائل نشرت فى مصر كذلك (١٣٤٩هـ — ١٩٣٠م) على يد الأستاذ محب الدين الخطيب الذى أشار فى مقدمته التى قدّم بها للرسائل أن المغفور له أحمد تيمور باشا أطلعه على نسخة خطية منها فى خزانته تحت رقم ٤٧٨ أدب ، وأنه قد بادر إلى نشرها فى مجلته الزهراء ، ثم ما لبث أن أفرد لها رسالة خاصة تقع فى حوالى ٤٠ صفحة تحت عنوان « بين أبى العلاء العربى وداعى الدعاة الفاطمى » [القاهرة . المطبعة السلفية ١٣٤٩ هـ]

ويؤخذ كذلك من هذه المقدمة أن ما أورده ياقوت فى معجم البلدان (وهى التى نشرها مارجليوث) إنما هو مختصر لتلك الرسائل . أما نصها الكامل فموجود فى خزانة ليدن

وذهب الأستاذ الخطيب كما ذهب الدكتور محمد كامل حسين إلى أن هذه الرسائل تبودلت فى السنة التى توفى فيها المعرى أى ٤٤٩هـ

هذا والأستاذ الفاضل إعجابنا وتقديرنا لبحثه القيم الطريف

مصطفى كمال عبد العليم
ليسانس فى الآداب . جامعة فاروق
الأسكندرية